Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لا كلفة ولا غموض ولا إغراب ، وقلة الغريب – بل ندرته – فى كلام النبى أجدر الأمور بالملاحظة فى إقامة المثل والنماذج لأساليب البلاغة العربية . .

فمحمد العربى القرشى الناشىء فى بنى سعد العالم بلهجات القبائل حتى ما تفوته لهجة قبيلة نائية فى أطراف الجزيرة ، لم يكن فى كلامه كله غريب يجهله السامع أو يحتاج تبيانه إلى مراجعة . . . وسر ذلك إنه يريد أن يبلغ أو يريد أن يصل إلى سامعه ، ولا يريد أن يقيم بينه وبين السامع حاجزا من اللفظ الغريب أو المعنى الغريب ، ومن ذلك ما روى عنه عليه السلام أنه كان يعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه ، وإنه كان يبغض التكلف والاغترار بالبلاغة كما قال : « إن الله تعالى يبغض البليغ من الرجال الذى يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها » .

وقد عرف عن النبى عليه السلام فى حياته الخاصة والعامة إنه كان قليل الكلام معرضا عن اللغو لا يقول إلا بالحق وإن قاله فى مزاح .

فمن ثم لا عجب أن يخلو كلامه من الحشو والتكرار والزيادة . فإذا كرر اللفظ بعينه كما جاء فى بعض المعاهدات فذلك أسلوب المعاهدات الذى لا محيص عنه ، لأن تكرار النص يمنع التأويل عند اختلافه . فهو أيضا سمة من سمات الإبلاغ على سبيل التوكيد والتحقيق ، أو على سبيل الإعادة التى روى إنه كان يتوخاها عليه السلام أحيانا ليعقل عنه كلامه . .

وفى كتابة إلى النجاشى زيادة من أسماء الله الحسنى ومن الاشارة إلى المسيح وأمه لم تؤثر فى الكتب الأخرى . . ولكنها ألزم ما يلزم فى خطاب ملك مسيحى يراد منه أن يفهم كيف تتفق صفات الله والمسيح فى دينه وفى دين المسلمين الذى يدعى إليه ، وكيف يبتغى طريق المقابلة بين العقيدتين إذا شاء . . ما على الرسول إلا البلاغ .

وهذا هو البلاغ فى التعبير : كل كلمة تصل إلى سامعها ، وكل كلمة مقصودة بمقدار . .

ولا زخرف ولا حيلة ولا مشقة متعمل فى ابتغاء التأثير ، إلا الإبلاغ الذى يليق بالرجولة والكرامة ، وعلى المعرض بعد ذلك وزر الإعراض .